@ 498 @ لفراقه ، وليطمئن قلبه بنزوله . فأنزل ا تعالى على لسان جبريل ! 2 2 ! أي : ليس لنا من الأمر شيء ، إن أمرنا ، ابتدرنا أمره ، ولم نعص له أمرا ، كما قال ا عنهم 2 ! : 2 ! فنحن عبيد مأمورون . ! 2 2 ! أي : له الأمور الماضية والمستقبلة والحاضرة ، في الزمان ، والمكان ، فإذا تبين أن الأمر كله ، وأننا عبيد مدبرون ، فيبقى الأمر دائرا بين (هل تقتضيه الحكمة الإلهية فينفذه ؟ أم لا تقتضيه فيؤخره ؟ ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : لم يكن لينساك ويهملك ، كما قال تعالى : ! 2 2 ! . بل لم يزل معتنيا بأمورك ، مجربا لك على أحسن عوائده الجميلة ، وتدابيره الجليلة . أي : فإذا تأخر نزولنا عن الوقت المعتاد ، فلا يحزنك ذلك ، ولا يهمك ، واعلم أن ا ، هو الذي أراد ذلك ، لما له من الحكمة فيه . ثم علل إحاطة علمه ، وعدم نسيانه ، بأنه ^ (رب السموات والأرض) ^ فربوبيته للسموات والأرض ، وكونهما على أحسن نظام وأكمله ، ليس فيه غفلة ولا إهمال ، ولا سدى ، ولا باطل ، برهان قاطع على علمه الشامل ، فلا تشغل نفسك بذلك ، بل اشغلها بما ينفعك ، ويعود عليك طائله وهو : عبادته وحده ، لا شريك له . ! 2 2 ! أي : اصبر نفسك عليها ، وجاهدها ، وقم عليها أتم القيام وأكمله بحسب قدرتك . وفي الاشتغال بعبادة ا تسلية للعابد عن جميع التعلقات والمشتهيات ، كما قال تعالى : ! 2 2 ! إلى أن قال : ! 2 2 ! الآية . ! 2 2 ! أي : هل تعلم مساميا ، ومشابها ، ومماثلا من المخلوقين . وهذا استفهام بمعنى النفي ، المعلوم بالعقل . أي : لا تعلم له مساميا ولا مشابها ، لأنه الرب ، وغيره مربوب ، الخالق ، وغيره مخلوق ، الغني من جميع الوجوه ، وغيره فقير بالذات من كل وجه ، الكامل ، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال ، إلا ما أعطاه ا تعالى ، فهذا برهان قاطع على أن ا هو المستحق لإفراده بالعبودية ، وأن عبادته حق ، وعبادة ما سواه باطل ، فلهذا أمر بعبادته وحده ، والاصطبار عليها ، وعلل بكماله وانفراده ، بالعظمة ، والأسماء الحسنى . ^ (ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا * أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) ^ المراد بالإنسان ههنا ، كل منكر للبعث ، مستبعد لوقوعه . فيقول مستفهما على وجه النفي والعناد والكفر ^ (أإذا ما مت لسوف أخرج حيا) ^ . أي : كيف يعيدني ا حيا بعد الموت ، وبعد ما كنت رميما ؟ هذا لا يكون ولا يتصور ، وهذا بحسب عقله الفاسد ، ومقصده السيء ، وعناده لرسل ا وكتبه ، فلو نظر أدنى نظر ، وتأمل أدنى تأمل ، لرأى استبعاده للبعث ، في غاية السخافة ، ولهذا ذكر تعالى برهانا قاطعا ، ودليلا واضحا ، يعرفه كل أحد على إمكان البعث فقال : ^ (أو

لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ، ولم يك شيئا) ^ أي : أو لا يلفت نظره ، ويستذكر حالته الأولى ، وأن ا خلقه أول مرة ، ولم يك شيئا . فمن قدر على خلقه من العدم ، ولم يك شيئا مذكورا ، أليس بقادر على إنشائه بعد ما تمزق ، وجمعه بعد ما تفرق ؟ وهذا كقوله : ^ (وهو الذي يبدىء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ^ . وفي قوله : ^ (أو لا يذكر الإنسان) ^ دعوة للنظر ، بالدليل العقلي ، بألطف خطاب ، وأن إنكار من أنكر ذلك ، مبني على غفلة منه عن حاله الأولى . وإلا فلو تذكرها وأحضرها في ذهنه ، لم ينكر ذلك . ^ (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا * ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحم ن عتيا * ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ^ أقسم ا تعالى وهو أصدق القائلين بربوبيته ، ليحشرن هؤلاء المنكرين للبعث ، هم وشياطينهم وليجمعنهم لميقات يوم معلوم . ! 2 2 ! أي : جاثين على ركبهم من شدة الأهوال ، وكثرة الزلزال ، وفظاعة الأحوال ، منتظرين لحكم الكبير المتعال ، ولهذا ذكر حكمه فيهم فقال : ! 2 2 ! أي : ثم لننزعن من كل طائفة وفرقة من الظالمين المشتركين في الظلم والكفر ، والعتو أشدهم عتوا ، وأعظمهم ظلما ، وأكبرهم كفرا فيقدمهم إلى العذاب ، ثم هكذا يقدم إلى العذاب ، الأغلظ إثما ، فالأغلظ ، وهم في تلك الحال متلاعنون ، يلعن بعضهم بعضا . وتقول أخراهم لأولاهم : ^ (ربنا هؤلاء الذين أضلونا ، فآتهم عذابا ضعفا في النار * وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) ^ ، وكل هذا ، تابع لعدله . وحكمته وعلمه الواسع ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : علمنا محيط بمن هو أولى صليا بالنار ، وقد علمناهم ، وعلمنا أعمالهم واستحقاقها ، وقسطها من العذاب . ! 2 2 ! وهذا خطاب لسائر الخلائق ، برهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، أنه ما منهم من أحد ، إلا سيرد النار ، حكما حتمه ا على نفسه ، وأوعد به عباده ، فلا بد من نفوذه ، ولا محيد عن وقوعه . واختلف في معنى الورود فقيل : ورودها ، حضورها للخلائق كلهم ، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد ، ثم بعد ، ينجي ا المتقين . وقيل : ورودها ، دخولها وحضورها ، فتكون على المؤمنين